مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2020، 20(3): 389–410
DOI: 10.31456/beytulmakdis.808094

مدينة ماردين ودورها في مواجهة الصليبيين

حسين علي*

ملخص: كان لمدينة ماردين وحكامها الأراتقة دور كبير في مواجهة الصليبيين وخاصة في حلب وأنطاكيا وبيت المقدس منذ عهد سقمان بن أرتق وثم أخوه نجم الدين إيلغازي وثم ابنه حسام الدين تيمورتاش وثم ابنه نجم الدين ألبي. فقد بدأت مرحلة جديدة من الجهاد ضد الصليبيين في عهد حسام الدين تيمورتاش حين تحولت ماردين من موقف الدفاع عن الممتلكات الإسلامية إلى مرحلة الهجوم حتى قاد حسام الدين جيشاً لتحرير بيت المقدس ومسجده الأقصى ولكن لم يوفق في غايته وسقط أبناء ماردين شهداء في طريق تحرير بيت المقدس. قامت ماردين وحكامها بمساندة الزنكيين في حملاتهم ضد الصليبيين ونتج عن ذلك سقوط الرُّها وعودتها لأيدي المسلمين. وقد توّج الأراتقة دورهم في مواجهة الغزو الصليبي بانضمام جيشهم لجيوش صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين عام 583هـ/1187م وقد نتج عن ذلك هزيمة للصليبيين وطردهم من معظم مدن الساحل واستعادة بيت المقدس.

الكلمات المفتاحية: الصليبيين، ماردين، بيت المقدس، معركة حطين، الأراتقة.

Mardin and its Role in Combating the Crusaders

ABSTRACT: *The city of Mardin and its Artuqid rulers contributed immensely to combatting the crusaders, particularly in Aleppo, Antakya and Bayt al-Maqdis. This commenced from the reign of Sakman ibn Artuq, and then his brother Najm al-Din El-Ghazi, followed by Husam al-Din Timortash, and then his son Najm al-Din Albi. A new stage of fighting the crusaders developed in the reign of Husam al-Din Timortash, as Mardin advanced from a defensive to offensive attack, particularly when Husam al-Din led an army aimed at liberating Bayt al-Maqdis and al-Aqsa Mosque. Although he reached the Holy City, regrettably the mission failed and many of the people of Mardin were martyred during this attempt. Mardin and its rulers assisted the Zengids in their numerous campaigns against the crusaders, which led to the fall of Al-Ruha (Urfa) and its return to Muslim hands. Indeed, the Artuqids have played a vital role in the battlefield alongside the troops of Salah al-Din at the horns of Hattin in 583AH/1187CE, leading to the defeat of the crusaders, the expelling of most of their forces from the coastal towns, and ultimately, the liberation of Bayt al-Maqdis.*

KEYWORDS: *Crusaders, Mardin, Bayt al-Maqdis, Battle of Hattin, Artuqids*.

* كلية العلوم الإسلامية، جامعة آغري إبراهيم تششان، آغري/ تركيا، hali@agri.edu.tr

مقدّمة

كان احتلال بيت المقدس والمسجد الأقصى ضربة للأمة الإسلامية عامة وللأراتقة بوجه خاص، فقد كان تحالف الفاطميين مع الصليبيين سبب في إخراج الأراتقة من بيت المقدس سنة 491هـ/1098م، أي قبل عام من احتلال الصليبيين لبيت المقدس. حيث ولي سقمان بن أرتق بن أكسك وأخيه نجم الدين إيلغازي إمرة القدس بعد أبيهما. وقد أفضى التحالف الفاطمي-الصليبي لمهاجمة الأراتقة من الشمال والجنوب، حيث أرسل الفاطميون جيوشهم من مصر إلى بيت المقدس، فضايقهما الأفضل شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي أمير الجيوش الفاطمية وأخرجهما من بيت المقدس، وبعدها بعام استطاع الصليبيون احتلال بيت المقدس. ويذكر ابن خلكان أنها لو كانت "في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين".[1] وبعد خروج الأراتقة من بيت المقدس توجهوا إلى بلاد الجزيرة حيث أسسوا هناك إمارات لحكمهم حيث لم يتوان الأراتقة بعد أن استقر حكمهم في بلاد الجزيرة الفراتية من مواجهة الصليبيين في عدد من الوقائع، بل وساندوا الزنكيين والأيوبيين في مواجهة المد الصليبي وكان لهم دور في تحرير بيت المقدس. وقد كانت لهم مشاركة فعالة في الحملات على الصليبيين في حران وأنطاكية وطرابلس وقد شاركوا في معركة حطين. بل وخاضوا معركة بمفردهم ضد الصليبيين بقيادة حسام الدين تيمورتاش الأرتقي بالقرب من بيت المقدس لتحريرها.[2]

سيناقش هذا البحث دور مدينة ماردين في الصراع الإسلامي-الصليبي منذ وصول الصليبيين إلى منطقة الشرق الأدنى الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي. سيتبين معنا من خلال هذا البحث الجهود الذي بذلتها ماردين وحكامها من بني أرتق في الصراع القائم بين المسلمين والصليبيين طوال الفترة. حيث كان لماردين دور في مواجهة الصليبيين لا يقل عما قامت به المدن الإسلامية الأخرى من خلال المشاركة في حركة الجهاد الاسلامي. حيث قامت ماردين بدور كبير في مواجهة العدوان الصليبي على بلدان المشرق الإسلامي بزعامة حاكمها ومؤسسها سقمان بن أرتق، والذي يرجع إليه الفضل في تهديد مركز الصليبيين في المنطقة مثل حملاته ضد الصليبيين على سروج وعلى حران ثم الإسراع لتلبية نداء أمير طرابلس فخر الملك بن عمار ضد الهجوم الصليبي على مدينته ولكن حال الموت بين سقمان وبين تحقيق أمنيته في القضاء على الوجود الصليبي في هذه المدة. كما وأن جهود ماردين ضد الصليبيين لم تقف بوفاة سقمان بن أرتق عند هذا الحد فقد حرص حاكمها نجم الدين إيلغازي بن أرتق على ضرورة مواصلة مسيرة سلفه سقمان في ضرورة القضاء على الوجود الصليبي في المنطقة فبادر على الفور بالإشتراك في حملات مودود بن ألتونتكين أتابك الموصل ضد الصليبيين، كما شارك أيضاً في الحملة التي وجهت ضد الصليبيين بزعامة أقسنقر البرسقي، وبعدها نرى أن ماردين قادت حركة الجهاد ضد الصليبيين فبادرت

لإنقاذ حلب من العدوان الصليبي عليها عام 512هـ/1118م كما كان لها دور كبير في معركة "ساحة الدم" سنة 513هـ/1119م والتي كادت أن تقضي على الوجود الصليبي في المنطقة. حيث هزمت فيها الإمارة الصليبية في إنطاكية هزيمة شديدة وقتل حاكمها (روجر). ثم واصل نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين جهوده للقضاء على الوجود الصليبي فدخل معهم في معركة (دانيث) ثم انتهى بعقد هدنة مع الصليبيين حتى وافته المنية.[3]

وبعد ذلك في نهاية عهد ابنه حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي تم البدء في مرحلة جديدة من الجهاد ضد الصليبيين، حين تحولت ماردين من موقف الدفاع عن الممتلكات الإسلامية إلى مرحلة الهجوم. حيث قاد حسام الدين تمرتاش جيشاً لتحرير بيت المقدس ولكن لم يوفق في غايته وسقط أبناء ماردين شهداء على هذا الطريق. و لم تترك ماردين هذا الدرب بل قامت بمساندة عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود في حملاتهم ضد الصليبيين، ونتج عن ذلك سقوط سميساط والبيرة وخضوعهما لحكام ماردين حتى أن أبناء ماردين شاركوا نورالدين محمود في حملاته في بلاد الشام ضد الصليبيين. وقد تم تتويج دور ماردين في مواجهة الغزو الصليبي بانضمام جيشها لجيوش صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين 583هـ/1187م وماترتب على ذلك من هزيمة الصليبيين وطردهم من معظم مدن الساحل واستعادة بيت المقدس لحاضنة الاسلام.[4] ونرى أن ماردين كانت أحياناً تتزعم حركة الجهاد ضد الصليبيين مثلما حدث في معركة سروج وأحياناً تكون ضمن القوى الإسلامية المشاركة في حركة الجهاد ضد الصليبيين دون أن يكون لها الزعامة. وسنناقش في هذا البحث كيف سجل الماردينيون أروع الملاحم البطولية من خلال مشاركتهم في صد هجمات الصليبيين في أنطاكية وحلب وبلاد الشام ومن ثم تحرير بيت المقدس.

أولاً: ملوك الدولة الأرتقية في ماردين في عصر الصليبيين

بعد أن انتهى حكم الأراتقة ببيت المقدس وتم اخراجهم منها على يد الفاطميين، انتقل بني أرتق إلى الجزيرة الفراتية وأسسوا حكمهم في ماردين وما حولها. وقد بدأ عهد "بني أرتق" في ماردين منذ القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي، واستمر حكمهم لها حوالي ثلاثة قرون، حيث حكمها فرع من فروع الأسرة الأرتقية وهم أولاد نجم الدين إيلغازي الأول الأرتقي، وقد استقلوا بها منذ عام (502هـ/1108م). وكان هؤلاء الأمراء والملوك يمكثون في الحكم سنين طوال، بعضهم ما بين الثلاثين سنة وأكثر، فبذلك خضعت ماردين لحكم الأراتقة لمدة تزيد عن ثلاثة قرون (502 -811هـ/1108-1410م). وكان حكمهم بنظام الوراثة، واتخذوا ألقاباً تدرجوا فيها إلى مستويات (أمراء ثم ملوك ثم

سلاطين). ولايزال أهل ماردين يفتخرون بذلك التاريخ الحضاري الأراتقي الذي ترك بصمتهم فيهم. حيث اتسمت الحياة في ماردين في العهد الأرتقي بالإزدهار والتقدم وانتعشت الحياة الاقتصادية.[5]

و"بنو أرتق" هم أسرة تركمانية الأصل، تنسب إلى قبيلة الدوغر(Döğer) التركمانية، وهي إحدى العشائر التي تنتمي إلى قبيلة الأوغوز أو الغز (Oğuzlar). وسميت هذه الأسرة بالأرتقية نسبة إلى مؤسسها، وقائدها التركماني "أرتق بن أكسك" أو "أكسب" والملقب بظهير الدين، وهو جد الملوك الأرتقية.[6] وكانت هذه القبيلة والتي كانت زعامتها قد انتهت إلى أرتق بن أكسك من جملة القبائل التركمانية، التي انتظمت في صفوف القوات السلجوقية، التي عمل سلاطينها على استمالة زعماء هذه القبائل، بمنحهم الإقطاعات والاستقلال الذاتي داخل نطاقها، كما سعوا إلى جذبهم إليهم بمختلف الوسائل كتفويضهم قيادة بعض الحملات العسكرية، وتعليم أبنائهم القيام بالمسؤوليات والوظائف العسكرية والإدارية. ومن المؤكد أن قبيلة الدوغر(Döğer) كانت من ضمن القبائل التركمانية العديدة التي اشتركت في الزحف السلجوقي وبناء كيان الدولة السلجوقية، لذلك تمت مكافئتهم بالاقطاعات والامارة.[7] وقد تميزت ماردين في ظل الحكم الأرتقي بنشاط علمي وفكري كبير، كما كان الأمر في بيت المقدس تحت حكمهم. بل وكان للأراتقة دور فعال في ماردين، من خلال بنائهم المؤسسات العلمية والفكرية والإنفاق عليها، حتى تبوأت ماردين مكانة مميزة بين مدن العالم الإسلامي. فقد شهدت حركة واسعة في بناء العشرات من المؤسسات كالمدارس والمساجد والربط والزوايا وخصصت لها الأموال اللازمة وجعلوا لها الأوقاف التي تمولها، ولايزال بنيان تلك المساجد والمدارس قائماً حتى يومنا هذا.

1- الأمير معين الدين سقمان الأول بن أرتق (496-498هـ/1103-1105م)

أسس سقمان بداية حكم الأراتقة في بلاد الجزيرة الفراتية سنة 1098م في ديار بكر وحصن كيفا ابتداء. وقد كانت بداية عهد "بني أرتق" في ماردين منذ أن استولى عليها ياقوتي الأرتقي من صاحبها المغني الجاكسري، وظل ياقوتي الأرتقي حاكماً عليها تحت طاعة جكرمش حاكم الموصل حتى وفاته، ثم أخذها من بعده أخوه علي الأرتقي، وسار في طاعة جكرمش وكان يعطيه كل سنة عشرين ألف دينار؛ ثم استخلف على ماردين أميراً آخر يدعى علي، أرسل إلى عمه سقمان الأول الأرتقي يعلمه بأن "ابن أخيه علي الأرتقي يريد تسليم ماردين إلى جكرمش"، فاتجه سقمان الأول الأرتقي على الفور إلى ماردين عام 496هـ/1102م، وتسلمها من نائبها الأمير علي وعوضه عنها بإقطاعه جبل جور، ثم جاء علي الأرتقي إلى جكرمش يطلب منه المال فقال له جكرمش "إنما أعطيتك المال احتراماً لماردين، والآن فافعل ما تريد"، وبعد ذلك بفترة توفي سقمان الأول بعد أن دخلت ماردين في حكمه.[8]

وكان لسقمان مواقف في الجهاد ضد الصليبيين فمن هذه المواقف نذكر منها؛ اشتراكه في حملة ملوك الشام والجزيرة لاستعادة مدينة أنطاكية. بعد أن مَلك الفرنج مدينة أنطاكية سنة 491هـ، اجتمعت جيوش المسلمين بالشام والجزيرة وديار بكر بقيادة رضوان بن تُتُش السلجوقي صاحب حلب وأخيه دقاق، وطغتكين أتابك صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وأرسلان شاه تاش صاحب سنجار، وسقمان بن أرتق صاحب ماردين وغيرهم. ونازلوا أنطاكية وضيقوا على الفرنج حتى أكلوا ورق الشجر، وكادوا يأخذون المدينة منهم، لولا خلاف الأمراء المسلمين فيما بينهم، وتخوف بعضهم من ازدياد سلطان كربوغا صاحب الموصل -حيث كانت القيادة له- إن هم حققوا النصر، واستيحاش البعض الآخر وأنفته من ترفعه عليه، وبسبب المقدرة التي أظهرها مقدمو الفرنج أثناء الحصار. فكانت هزيمة المسلمين، وطارد الفرنج لجموعهم الهاربة من أرض المعركة.[9]

وعلى الرغم من كل ما حصل يظهر أن العساكر المارديني التركمانية كانت قد أبلت وقائدها سقمان بن أرتق بلاء حسنا في المعارك التي دارت داخل أنطاكية وخارجها من دون الإلتفات إلى ما كانت عليه بقية الجيوش الإسلامية من خلافات. حتى أنه يذكر أن ما تحقق من انتصار ومكاسب في بداية الحصار كان على يد العساكر المارديني؛ "ولما ملك الفرنج أنطاكية سنة 491هـ/1097م، اجتمع الأمراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها، وكان لسقمان المقام المحمود في ذلك".[10] وكذلك حملة سقمان لاستعادة مدينة سروج حيث أخذ الفرنج بقيادة بلدوين الأول مدينة سروج من المسلمين بعد قتال، وجعل عليها قائداً عرف باسم "فولشر شارتر".[11] حيث سكت المسلمون عن الفرنج مدة إلى أن كانت سنة 495هـ/1101م عندما تهيأت العساكر التركمانية المارديني بقيادة سقمان لاستعادتها. وصادف ذلك مع بداية عهد بلدوين الثاني الذي هب لنجدة فولشر. وتفيد المعلومات أن حرباً استعرت بين الطرفين انتهت بهزيمة الفرنج ومصرع فولشر وفرار بلدوين إلى أنطاكية مستصرخاً. وسقطت سروج باستثناء القلعة التي بقيت بيد "بندكت" رئيس أساقفة اللاتين في الرُّها. لكن ذلك النصر لم يدم طويلاً فسرعان ما تجمعت لبلدوين الجيوش من أنطاكية حيث استأجر الجنود لتعويض خسائره. فراح بلدوين يقتل كل من تعاون مع الأراتقة من السكان، وامتلأت السجون، واضطر السجناء إلى افتداء أنفسهم مما زاده ثراءً بهذه الأموال الجديدة، ثم فاجأ العساكر الأرتقية فانهزموا وأخرجوا من المدينة.[12]

ومن مواقف جهاد سقمان ضد الصليبيين؛ حملة سقمان لطرد الفرنج من نواحي الرقة ففي أول سنة 497هـ/1103م عاود الفرنج هجماتهم على ديار الجزيرة. فخرجوا من الرُّها وانقسموا إلى قسمين: قسم قصد حرَّان، وآخر قصد الرقة فالذي توجه إلى الرقة عمل على إحراج موقف سقمان والتعدي عليه. فاتفق مع الأمير سالم بن بدر العقيلي، وجمعا العساكر من التركمان والعرب من بني عقيل، واتجها

لمقارعة الفرنج. فنزلا على منطقة رأس العين، وهناك التقيا بالفرنج فدار قتال شديد أسفر عن أسر الأمير العقيلي، ثم كانت الدائرة على الفرنج فانهزموا وقتل منهم خلق كثير.[13] ويبدو أن الفرنج لم يسكتوا على الهزيمة. ففي شهر تشرين الأول، هاجم بلدوين الثاني منطقة ماردين، وانتقم من أهلها، فدمّر المزارع وأسر الرجال والنساء والأطفال، ونهب الأرزاق من محاصيل زراعية وماشية وأموال.[14]

كذلك كانت لسقمان حملة لطرد الصليبيين من حرّان (معركة حرّان). فأما القسم الذي توجه إلى حرّان، فقد بدأت عناصره بغاراتها على هذه المدينة. وتنفيذاً للعهود والمواثيق المبرمة بين أمراء الجزيرة والسلطنة، قرر الأميران جكرمش صاحب الموصل، وسقمان صاحب ماردين أن يتناسيا ما كان بينهما من نزاع، ويعملا معاً لدرء خطر الصليبيين عن الديار، وبالتالي القيام بغزو المعاقل التابعة لهم. وهكذا كان الأمر، فزحف الرجلان بجموعهما إلى مدينة الرُّها في صيف 497هـ/1104م. ونزلت تلك الجموع في رأس العين على مسافة تقرب من سبعين ميلاً من عاصمة الصليبيين الرُّها. ولما سمع بلدوين الثاني بتلك الحشود استعد، واستنجد بأمراء الصليبيين، جوسلين وبوهيمند، وقيل أيضاً ريموند وتنكريد والبطريق برنار وديامبرت البطريق السابق لبيت المقدس، واقترح عليهم التحرك باتجاه حرّان، ليحولوا الهجوم الإسلامي عن الرُّها. وبعد أن ترك بلدوين حامية صغيرة في الرُّها، اتخذ الطريق إلى حرّان حيث وافته النجدات. وفي المنطقة القريبة من نهر البلّيخ، التقى وجها لوجه مع الزحف الإسلامي، وهناك دارت معركة تحطمت فيها أسطورة "إن الفرنج لا يقهرون". وانتصر سقمان وجكرمش، وغنمت العساكر المارديني والموصلية الغنائم الكبيرة. ووقعت عساكر الفرنج بين قتلى وجرحى وأسرى، كما أسر بلدوين وجوسلين، وكانا من ضمن من أسر من طرف جيش سقمان وكان عدد قتلى الصليبيين يقدر بعشرة آلاف.[15] فكان نصراً حسناً للمسلمين لم يتهيأ لهم مثله من قبل وبه ضعفت نفوس الصليبيين وقلت عددهم وقلت شوكتهم وقويت نفوس المسلمين وأرهفت عزائمهم في نصرة الدين. كما كان هذا النصر حافزاً عظيماً لكي يواصل المسلمون حركة الجهاد والمقاومة ضد الصليبيين.[16]

ولم تنته فكرة الجهاد ضد الصليبيين عند سقمان بن أرتق، فقد ظهرت لديه هذه الفكرة مرة أخرى عندما استنجد به فخر الملك بن عمار أمير طرابلس، وذلك بعد أن أسقط الصليبيين الساحل الشامي وملكوه، واستعصت عليهم مدينة طرابلس. ورغم المقاومة التي بذلها صاحبها فخر الملك بن عماد الدين بن عمار، فإن المدينة أصبحت على أهبة السقوط للهجمات المتواصلة والشديدة والحشود الضخمة التي سخّرها الفرنج في الضغط على المدينة. فساءت أحوال المدينة وارتفعت أسعار الطعام ارتفاعاً فاحشاً، وفشلت جهود فخر الملك بن عمار من تخفيف حدة هذه الأزمة. وقد كان ابن عمار لايستطيع طلب المعونة من طغتكين أتابك دمشق وحمص، بسبب ما وقع بينهما من خلاف وأيضاً لم يطلب المدد من

الفاطميين الذين كانوا يرغبون في انتزاع طرابلس لأنفسهم من بني عمار. وبذلك أدرك فخر الملك أن الأسلم له أن يلتمس الحلفاء من جهات بعيدة، لذا تطلع إلى من أشدهم بأساً ونكاية في حرب الصليبيين. فتواصل مع سقمان صاحب ماردين، فاستصرخه، فهب لنجدته و لم يتوان عن المساعدة وجمع عساكره من أبناء ماردين وتوجه نحو طرابلس. لكن وهو في الطريق مرض مرضاً شديداً فنصحه أصحابه بالعودة فامتنع وقال بل أسير فإن عوفيت تممت ما عزمت عليه ولايراني الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفاً من الموت وإن أدركني أجلي كنت شهيداً سائراً في جهاد. فسار هو وجنده ولكن القدر كان بانتظاره فلم يبلغ منتصف الطريق حتى وافته المنية، وحُرم ابن عمار من مساعدته ونخوته وكان ذلك في نهاية سنة 498هـ/1105م.[17]

هذا و لم تصرف مشاكل سقمان وحروبه مع أمراء النواحي والصليبيين اهتمامه بأمور البلاد وأهلها. ووصف بأنه كان شديداً في تطبيق العدل والقانون في بلاده. حيث كان حسن السياسة والتدبير، مهاباً، محترماً، مطاعاً ولهذا قضى على دابر الأشقياء وقطاع الطرق. فازدهرت مرافق الحياة المارديني في أيامه من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات. وازدادت قوة الجيش المارديي وعساكر دياربكر في أيامه عدداً وعدة، واتسع نطاق العمارة وعاش الناس على جانب كبير من البحبوحة واليسر.[18]

2- نجم الدين إيلغازي بن أرتق (502-516هـ/1108-1122م)

انتقل حكم ماردين بعد ذلك إلى أخي سقمان، الملك نجم الدين إيلغازي ابن الأمير أرتق بن أكسك التركماني، بعدما انتقل إلى ماردين من بغداد، حيث كان متصرفا عليها للعباسيين. فأصبح هو صاحب ماردين وديار بكر وحلب. وقد كان هو وأخوه الأمير سقمان من أمراء تاج الدولة تُتُش صاحب الشام، فأقطعهما القدس، وجرت لهما الأحداث التي تم ذكرها عشية الحروب الصليبية فأخرجا من بيت المقدس على يد الفاطميين. وكان إيلغازي ذا شجاعة، ورأي، وهيبة وصيت، وقد حارب الفرنج عدة مرات في مواقع مختلفة. فحينما سارت الفرنج إلى مدينة حلب ودخلوها عنوة وملكوها وقتلوا من أهلها خلقاً كثيرا، سار إليهم نجم الدين إيلغازي في جيش كثيف فهزمهم عنها، ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا فيه، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة، و لم يفلت منهم إلا اليسير، وأسر من مقدمهم نيفاً وسبعين رجلاً، وقتل فيمن قتل (سرخال) صاحب أنطاكية وحمل رأسه إلى بغداد وأخذ نجم الدين إيلغازي حلب بعد أولاد رضوان بن تُتُش.[19]

كما واستولى على مَيَّافَارِقِين وغيرها قبل موته بسنة، ثم سار منجداً لأهل تفليس هو وزوج ابنته ملك العرب دُبَيْس الأسدي، وانضم إليهما طغان صاحب أرزن، وطغريل أخو السلطان محمود السلجوقي، وساروا على غير تعبئة، فخرج إليهم داود طاغية الكرج، و لم يستطيعوا هزيمته فعاد إيلغازي

إلى ماردين لتسوية الأوضاع داخل المملكة فرتب ونظم وعزل وزاد في العمارة. وشجع على زيادة الإنتاج في كافة المجالات، وأحس الناس في أيامه بالأمن والاستقرار والإزدهار.

هذه الأحوال كانت نتيجة الجهد الذي قدمه إيلغازي في قيادة البلاد والسهر على حمايتها وكان كثير التنقل والتجوال في مدن مملكته زائراً متفقداً سائلاً عاملاً على إصلاح الرعية واسعاد حياتها. وبهذا الجهد والعطاء استطاع أن يستخلص لنفسه من بلاد الجزيرة تلك الديار والمساحة الواسعة وينشئ فيها إمارة أو مملكة اشتهرت في التاريخ بالأرتقية الإيلغازية. وكان لها شأن في تاريخ الدولة الإسلامية بوجه عام وإقليم الجزيرة بوجه خاص. وقُدِّر لتلك المملكة أن تعيش أكثر من ثلاثمائة سنة.[20]

ويحدثنا ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة عن نجم الدين إيلغازي وجهاده ضد الصليبيين فيقول في أحداث سنة 503هـ:

> فيها كاتب السلطان محمد شاه السلجوقي الأمير سقمان بن أرتق صاحب أرمينية وأخلاط ومَيَّافَارِقِين، والأمير شرف الدّين مودود صاحب الموصل، ونجم الدين إيلغازي صاحب ماردين بالاجتماع على جهاد الفرنج؛ فاجتمعوا وبدأوا بالرُّها. وبلغ الفرنج، فاجتمع طنكري صاحب أنطاكية، وابن صنجيل صاحب طرابلس، وبلدوين صاحب القدس، وتحالفوا هم أيضاً على قتال المسلمين، وساروا؛ فكانت وقعة عظيمة نصر الله المسلمين فيها وغنموا منهم شيئا كثيراً.[21]

وكان لإيلغازي مواقف كثيرة في حروبه ضد الصليبيين في سنوات 508 و 509 و511هـ وأهم معاركه ضد الصليبيين كانت في سنة 513هـ/1119م والتي جرى فيها قتال عنيف سميت المعركة بـ"ساحة الدم" لكثرة ماسفك فيها من الدماء. وسنذكر قصة هذه المعركة كما رواها ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ في أحداث سنة 513هـ فيقول:

> في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بزّاعة وغيرها، وخربوا بلد حلب ونازلوها، و لم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً، وخافهم أهلها خوفاً شديداً، ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد، لكنهم منعوا من ذلك، وطالب الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم على أملاكهم التي بباب حلب. فأرسل أهل البلد إلى بغداد يستغيثون، ويطلبون النجدة، فلم يغاثوا. وكان الأمير نجم الدين إيلغازي، صاحب حلب، ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً، وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي، والأمير طغان أرسلان بن المكر، صاحب بدليس وأرزن، وسار بهم إلى الشام، عازماً على قتال الفرنج. فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم، وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل، ساروا فنزلوا قريباً من الأثارب، بموضع يقال له تل عفرين، بين جبال ليس لها طريق إلا من ثلاث جهات، وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش. وظن الفرنج أن أحداً لا يسلك إليهم لضيق الطريق، فأخلدوا

إلى المطاولة وكانت عادة لهم، إذا رأوا قوة من المسلمين، وراسلوا إيلغازي يقولون له: لا تتعب نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك، فأعلم أصحابه بما قالوه، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بالركوب من وقته، وقصدهم ففعل ذلك، وسار إليهم، ودخل الناس من الطرق الثلاثة، ولم تعتقد الفرنج أن أحداً يقدم عليهم، لصعوبة المسلك إليهم، فلم يشعروا إلا وأوائل المسلمين قد غشيتهم، فحمل الفرنج حملة منكرة، فولوا منهزمين، فلقوا باقي العسكر متتابعة، فعادوا معهم، وجرى بينهم حرب شديدة، وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم، وأخذهم السيف من سائر نواحيهم، فلم يفلت منهم غير نفر يسير، وقتل الجميع، وأسروا. وكان في جملة الأسرى نيف وسبعون فارساً من مقدميهم، وحملوا إلى حلب، فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار، فلم يقبل منهم، وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة. وأما سيرجال، صاحب أنطاكية، فإنه قتل وحمل رأسه، وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأول 513هـ.[22]

وفي هذه الأثناء كان المسلمون بحلب التي تبعد نحو خمسة عشر ميلاً عن أرض المعركة يتلهفون على سماع الأخبار، فوصلتهم حوالي الظهر، وعند صلاة العصر بدأت طلائع الجيش الإسلامي تقترب من المدينة. أما ايلغازي، فبعد أن وزع الغنائم على العساكر، سار إلى سرمدا حيث استسلم له رينالد مازوار فأبقى على حياته، بينما أمر بقتل رفاقه. كما جرى تكبيل الأسرى بالأغلال وجرهم خلف المنتصرين باتجاه حلب. وبينما كان إيلغازي يصل إلى حلب ويحتفل بنصره وصلت أنطاكية أخبار الهزيمة. فتولى القيادة فيها البطريرك برنارد وراح ينظم الجند. ومن حلب أخذ ايلغازي يكاتب الملوك في العالم الإسلامي بما حازه والعسكر المارديني من نصر. فبعث إليه الخليفة بالخلع والتشاريف، وأنعم عليه آنذاك بلقب نجم الدين.[23]

ثم تجمع من سَلِمَ من المعركة مع غيرهم، فلقيهم إيلغازي أيضاً، فهزمهم، وفتح منهم حصن الأثارب، وزردنا، وعاد إلى حلب، وقرر أمرها، وأصلح حالها، ثم عبر الفرات إلى ماردين. وانتهت حملة إيلغازي الكبرى بعد أن حققت للمسلمين عامة انتصاراً معنوياً ضخماً، وللماردينيين وحلفائهم مكاسب مادية تجلت فيما حصلوا عليه من غنائم وما آل إليهم من حصون وضياع إلى جانب التخلص من شبح الخوف الذي كان يساورهم من مبدأ القول بقوة الفرنج التي لاتهزم. وتقديراً لجهود إيلغازي ومواقفه، عظّمه المسلمون آنذاك، وأكثروا من الدعاء له، وتأملوا الخلاص مما يعانوه على يديه، واعترف بفضله القادة والأمراء، وامتدحه الشعراء فمما مدح به إيلغازي في هذه الوقعة قول الشاعر العظيمي:

قل ما تشاء فقولك المقبول وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته وبكى لفقد رجاله الإنجيل[24]

وبعد مسيرة حافلة من الجهاد ضد الصليبيين منذ أن اخرج من بيت المقدس، كانت وفاة إيلغازي في رمضان، بمَيَّافَارِقِين بجوار ماردين سنة (516هـ/1222م). واستمرت ماردين في يد ذريته، فأخذ مَيَّافَارِقِين ابنه شمس الدولة سليمان، وتولى ابنه حسام الدين تيمورتاش مدينة ماردين، وتولى على حلب ابن أخيه الأمير سليمان بن عبد الجبار بن أرتق، إلى أن أخذها منه ابن عمه بلك بن بهرام. ويذكر سبط ابن الجوزي: "توفي إيلغازي سنة 515هـ، وكان تحته بنت صاحب دمشق طغتكين، وتزوج ابنه سليمان ببنت صاحب الروم، فمات سنة 518هـ، فتسلم حسام الدين تيمورتاش مَيَّافَارِقِين".[25]

3- حسام الدين تيمورتاش (516-547هـ/1122-1152م)

كانت وفاة نجم الدين إيلغازي خسارة كبيرة للمسلمين واستغل الصليبيون الأمر فاحتلوا عدد من البلاد. وفي بداية عصر ابنه حسام الدين خرجت حلب من حكمه، وقد قيل لضعف حمايتها من اعتداءات الفرنج ولاستهانته في تحصين المدينة وللهوه. ولذا فإن أهلها استصرخوا صاحب الموصل الأمير آق سنقر البرسقي الذي أصبح الرجل الأقوى في الجزيرة في قتال الفرنج بعد وفاة نجم الدين إيلغازي. فاستجاب البرسقي لأهل حلب وأبعد الفرنج عن حلب وتقديراً لجهوده رغب الحلبيون أن يكافئوه فأحسنوا إليه وملكوه البلد بعد أن خلعوا طاعة حسام الدين تيمورتاش. وبذلك تقلصت حدود المملكة المارديني لتصبح في حدود ماردين ومَيَّافَارِقِين ونصيبين وماحول هذه المدن من قرى.[26] ويبدوا أن بداية حياة حسام الدين لم تتمتع بالمواجهة مع الصليبيين بل وقد أطلق سراح بلدوين الثاني ملك القدس الذي كان في الأسر. وقد عقد حلفا مع ابن عمه ركن الدولة داود وعدد من التركمان ضد عماد الدين زنكي وحاربوه فانتصر عليهم عند دارا قرب ماردين عام 524هـ/1130م. وبعد ذلك تقرب منه عماد الدين وبدأ الود بينهم حيث تزوج عماد الدين زنكي من ابنة حسام الدين وتحالف معه، بل وحارب معه ضد ابن عمه داود بن سقمان وشاركه في فتح عدد من القلاع. ويبدوا أن هذا أدى إلى تحول في حياة حسام الدين وفي مواجهته للصليبين. فنرى دور حسام الدين تيمورتاش في مقاومة الصليبيين من خلال تعاونه مع نورالدين زنكي وكان هناك تقارب بينهما فلقد اشترك حسام الدين مع نورالدين محمود في شن هجوم على بعض الحاميات البيزنطية والصليبية الموجودة في المنطقة مما ترتب عليه سقوط عين تاب ودلوك في يد السلطان مسعود بينما استولى تيمورتاش على سميساط والبيرة ووقعت روندان في أيدي نورالدين محمود.[27] وقد أشار ابن القلانسي في كتابه تاريخ دمشق إلى قيام التركمان (يقصد هنا عسكر ماردين) بمحاولة للسيطرة على بانياس قبل قيامهم بمحاولة السيطرة على بيت المقدس ولكن محاولتهم بائت بالفشل بعد أن كبدوا الصليبيين خسائر فادحة وقتلوا منهم وأسروا عدداً كبيراً، و لم يفلت منهم غير الحاكم مع عدد قليل.[28]

والواقع أن حسام الدين تيمورتاش أمير ماردين لم يكتف بالهجوم الذي شنه على بعض الحاميات الصليبية سنة 546هـ/1151م إنما قام بمفرده بهجوم مفاجئ على بيت المقدس لتحريره من الصليبيين مستغلاً النزاع الذي جرى بين الملك بلدوين الثاني وابنته الكبرى ميلسند واعْتَقَدَ أن ضربةً جريئةً قد تصيب إذا شدد هجومه عليها وطلب المساعدة من مجير الدين أباق حاكم دمشق وكان قد وافق على مد يد العون وفي نفس الوقت نصحه بعدم المضي في سيره. وعندئذ أندفع تيمورتاش عبر الأردن وأقام معسكره على جبل الزيتون، بينما كان بارونات الفرنج يشهدون مجلساً في نابلس غير أن حامية بيت المقدس شنت هجوماً مفاجئاً على جيش ماردين، الذي انسحب إلى الأردن بعد أن تبين لهم فشل هجومهم المباغت وعلى هذا النهر انقض عليهم جيش مملكة بيت المقدس واضطر جيش ماردين للانسحاب.[29] ويروي المؤرخ الصليبي وليم الصوري الذي عايش تلك الفترة هذه المعركة في كتابه تاريخ الحروب الصليبية سنذكرها كما أوردها:

> قام جماعة من الولاة الأتراك الأقوياء المعروفين بالأراتقة، والذين يترلهم قومهم منزلة التعظيم، فجمعوا حشداً كثيفاً من بني جلدتهم قاصدين الخروج للإستيلاء على القدس التي يعتبرون أنفسهم ورثتها الشرعيين، إذ يقال أن المدينة الطاهرة كانت ملكهم وملك أسلافهم قبل أن يستخلصها الصليبيون لأنفسهم، وكانت أمهم شديدة التحمس لهذا الموضوع، وقد لامت أولادها إذ سمحوا لأنفسهم بأن يظلوا منفيين زمناً طويلاً عن أملاكهم التي ورثوها بعيدين عنها [يقصد أن القدس كانت تحت حكم أرتق بن أكسك جد الأراتقة]. وزحف الجيش على رأس طائفة كبيرة من الفرسان وقد أجمعوا العزم على تحقيق هدفهم بإذن ربهم، فلما بلغوا دمشق أقاموا بها قليلاً حتى يأخذ عسكرهم قسطاً من الراحة ويستعيدوا نشاطهم، وقد حاول أهل تلك المدينة صرفهم عن مشروعهم فلم يفلحوا ورفضوا الاستماع إليهم، وأعادوا تزويد أنفسهم بالميرة والطعام والعتاد ورتبوا أمتعتهم وتابعوا زحفهم إلى القدس وهم مؤمنون بأنهم الغالبون، واجتازوا بكتائبهم الطويلة الأردن، وصعدوا في الإقليم الجبلي الذي تقع به المدينة المقدسة، ثم جاءوا إلى جبل الزيتون المشرف على القدس والمتاخم لها، وهنا أتيح لهم أن يروا منظراً فريداً طالعوا فيه الأماكن الطاهرة، لاسيما الهيكل [يقصد المسجد الأقصى] الذي يُوَقِّرُونَهُ توقيراً عظيماً، وكانت العين تشاهد من هذا الموضع المدينة بأكملها. وكانت معظم قوات القدس قد نهضت إلى مدينة نابلس مخافة أن يهاجمها العدو نظراً لأنها كانت خالية من التحصينات، فلما رأى من ظلوا بالقدس أن جيش الترك شارع في التقدم جزعوا أن يبادر بالإغارة عليهم، فهبوا سراعاً إلى سلاحهم وطلبوا العون من السماء، وزحفوا زحف المتحمسين لصد العدو وقتاله. كان الطريق الواصل من القدس إلى أريحا ثم إلى الأردن وعراً كل الوعورة، خطراً كل الخطر، ذلك أن المواضع شديدة الانحدار وتجعل الصعود والنزول أمراً بالغ الشدة والمشقة. وحدث أن هجم الصليبيون على الأراتقة حين دخول هذه الطريق فاضطروا للانسحاب وسقط الكثير منهم [شهداء]

لأن تلك الصخور والمسالك لم تكن تتيح سبيلاً للخروج، والذين تمكنوا من الخروج ما لبثت سيوف الصليبيين أن تلقفتهم وأثخنتهم جراحاً مميتة، كما أن جيادهم التي أنهكها طول السير لم تعد تتحمل السير في الشعاب الوعرة، فحرنت ورفضت أن تنقاد لراكبيها حتى اضطر الترك للترجل عنها وصاروا عسكراً مشاة قد ناءت أكتافهم بما يحملون من الأسلحة و لم يكونوا قد اعتادوا صعاباً كهذه الصعاب. ومن ثم تلقفتهم سيوف مطارديهم فذبحوهم وجرت مجزرة عظيمة على الرجال والخيل على السواء حتى عاقت الجثث زحف الصليبيين الذين لم يلتفتوا إلى الغنائم والأسلاب فلم تمتد أيديهم قط إليها لاستمرارهم فيما هم آخذون به أنفسهم من المذابح الوحشية، ورأوا أن خير ما يثابون عليه هو أن يخوضوا في دماء الخصم ويسبحوا فيها. ما كاد المجتمعون في طرابلس يسمعون بزحف العدو لمهاجمة بيت المقدس حتى هبوا مسرعين هبة رجل واحد واندفعوا إلى مخاضات الأردن ليمنعوا الترك من العبور، فهاجموا من استطاع النجاة وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً، والذي نجى في بادئ المعركة سرعان ما أخذته سيوف لصليبيين من الوراء، كما أن الذين دخلوا الأردن طليعة للصف الأول كانوا يجهلون أين تكون هذه المخاضات فابتلعتهم الأمواج الهادرة لنهر الأردن فكانوا من الغرقى، وهكذا قدر للجيش الذي جاء أول ما جاء بالآلاف المؤلفة وكان مزهواً بقوته ومعتمداً على قوة فرسانه عاد وقد تضائل عدد فرسانه حتى أنه ليقال أنه مات في ذلك اليوم ما يقرب من خمسة آلاف رجل. وقد جرى ذلك في الثالث والعشرين من نوفمبر سنة 1152م في السنة التاسعة من حكم الملك بلدوين الثالث رابع ملوك بيت المقدس.[30]

هذه هي الرواية الوحيدة حول هذه المحاولة لفتح بيت المقدس والتي تفرَّد بذكرها المؤرخ الصليبي وليم الصوري و لم يذكر هذه المعركة أحد غيره. ومن خلال هذه الرواية نرى أن حسام الدين تيمورتاش وجيش الأراتقة لم يتوانى و لم يتخلف عن المحاولة لتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين حتى وان كان وحده. فهذه الرواية بها عدد من الإشارات المهمة؛ منها أنه شهد لهم بقوتهم وصلابتهم، وكذلك رؤيتهم بأن بيت المقدس "إرثا شرعيا" لهم في إشارة لحكمهم لها قبل الصليبيين. وقد كانت هذه المحاولة لفتح بيت المقدس بعد ما يقارب خمسين سنة من احتلالها، وهذا يشير إلى أن هذه القضية كانت ما زالت حية في عقول الأراتقة، بل ويضيف معلومة أن والدهم كانت هي من تحمسهم على هذا الأمر وعلى فتح بيت المقدس وتحريرها من الصليبيين وإعادتها إلى حكم المسلمين وللسيادة الأرتقية. ومع أن حاكم دمشق حاول ثنيهم عن سعيهم هذا لكن لم ينجح وواصلو سعيهم في قطع المسافات حتى وصلوا إلى بيت المقدس بل وأستطاعوا رؤية المسجد الأقصى الذي يعظموه كما يذكر ويليام الصوري، وقد كان على أعلى قبة الصخرة في ذلك الوقت صليبا مذهبا. لكن تم القضاء عليهم بعد وصول الإمدادات للصليبيين من نابلس وطرابلس، ولاحقوهم على طريق أريحا وقتلوا منهم أعداداً كبيرة وغرق عدد آخر

في نهر الأردن. وإن لم يستطع حسام الدين تيمورتاش إستعادة بيت المقدس، ربما لعدم جاهزية المسلمين، يكفيه شرف المحاولة، وقد سقط الآلاف من جنوده من أبناء ماردين شهداء من أجل تحرير بيت المقدس والذين وقفوا على جبل الزيتون مقابل المسجد الأقصى قبل هزيمتهم. وتوفي حسام الدين نفسه في هذا العام بعد هذه المحاولة ولا تشير المصادر إلى كيفية وفاته، وقد آل الأمر بعده إلى ابنه نجم الدين ألبي والذي أكمل الطريق في مناكفة الصليبين مع نور الدين محمود زنكي.

4- نجم الدين ألبي بن تِيمورتاش (547-572هـ/1152-1176م)

تولى الأمير نجم الدين ألبي بن تيمورتاش حكم مدينة ماردين 548هـ/1152م بعد وفاة والده حسام الدين تيمورتاش، وقام بالدعوة له حاجبه سعد الدولة التوباشي حيث سار إلى مَيَّافَارِقِين، ودخل المدينة ثم دخل القصر وجمع أكابر المدينة والأمراء والأعيان أهل المدينة، وأعلمهم بوفاة حسام الدين تيمورتاش وتولية ابنه نجم الدين ألبي، وعندما علم الناس بذلك اطمأنوا و لم يختلف عليه أحد.[31] وعاش الناس أهل ماردين ومَيَّافَارِقِين خلال ولايته في مظاهر من العدل والإحسان والاستقرار، كما حصلوا على أتم المصلحة، وكف عنهم الأيدي المتطاولة و لم يُرى ملك أَعَفَّ منه. ويمكن اعتبار عصر أبي المظفر نجم الدين البي بن تيمورتاش في بلاد ماردين وديار بكر والجزيرة، استمرار لعصر والده من حيث أن الظروف المحلية والسياسة الدولية، ظلت على ما هي عليه دون تغيير أو تبديل. ومَرَدُّ ذلك إلى النهج الذي اتبعه ألبي في سياسة الداخل والتعامل مع الخارج. ففي هذا الداخل اقتفى أثر والده في تعامله مع الرعية. فاهتم بالمؤسسات والخدمات العامة، حيث راعى الحقوق، وشجع الإنتاج، وضبط الأمن، ورتب العمال. و لم يكن ليتسنى له ذلك لولا الاستمرار في سياسة التفاهم مع الخارج، مع أمراء النواحي ليأمن -كما فعل والده- شرورهم، وليحفظ حدوده من تعدياتهم. ولكي يحفظها أيضاً من تعديات الآخرين من الغرباء المسلمين وغير المسلمين من الفرنج، مد يده إليهم وشاركهم بجنده وبماله. ولهذا سنراه يشارك أصحاب الموصل وحلب في ردع الطامعين والحاقدين والدخلاء على أرض الجزيرة.[32]

و لم يتوان نجم الدين ألبي عن مشاركة الجيوش الاسلامية في ردع الفرنج وقتالهم، وله في ذلك مواقف كثيرة. منها على سبيل المثال تلك التي تمت في سنة 559هـ/1163م. حين دعا نور الدين محمود زنكي ملوك الأطراف للمشاركة في أخذ الثأر من الفرنج بعد الهزيمة التي مني بها عند البقيعة تحت حصن الأكراد ومن بين الذين راسلهم كان نجم الدين ألبي صاحب ماردين، وفخر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا، وصاحب الموصل قطب الدين مودود أخو نور الدين محمود. حيث يذكر ابن الأثير: أن نجم الدين ألبي وافق وبعث بالعساكر بينما تلكأ فخر الدين ثم عاد وتوجه. وكذلك سيَّر أخوه قطب الدين العساكر مع نائبه زين الدين علي بن بكتكين. واشتبكت العساكر الإسلامية مع

الفرنج وتعددت حملات الكر والفر التي أظهر فيها الماردينيون من الشجاعة فصولاً رائعة حتى أدركوا النصر، وانتهت المعارك بأسر قادة الفرنج ومنهم البرانس بوبموند صاحب أنطاكية، والقمص صاحب طرابلس، والدوق مقدم الروم وابن جوسلين. وتم قتل مايقارب العشرة آلأف من الصليبيين، وتفرقت العساكر بعد هذه المعركة محملة بالأسرى والمغانم.[33] وقد ذكر ابن واصل أنه بعد هذا النصر سير صاحب ماردين إلى نور الدين محمود زنكي عسكرا وهو منازل لحارم عند حلب سنة 559هـ فتم له الفتح.[34]

وعلى العموم فإنه مهما تعددت الحوادث وعبست الأيام وأثقلت أحمالها، فإنها لم تغير من السمة الحسنة التي امتاز بها عصر نجم الدين ألبي في ماردين. وبقي ألبي ملكاً مجلاً مستقلاً في إداراته ومؤسساته. وبقيت المدينة ماردين عاصمة حرة لا تدانيها مدينة في الجزيرة، من حيث العظمة والجلال. وهذا الجلال وتلك العظمة بل وذلك الاستقلال كان كله قد ترجمته قطع المسكوكات التي ضربت فيها أيام ألبي وهي تحمل اسمه وألقابه بل ورسومه ورسوم زوجته المكللة بالأكاليل والتيجان الملكية والخالية من أي تأثير أو نفوذ خارجي. ولمس الماردينيون بل والميافارقيون أيضا من ألبي مظاهر العدل والإحسان والرأفة والمحبة. واستمر النجم في ملكه إلى غروب سنة 572هـ/1176م. وقيل إلى سنة 575هـ/1180م حين فارق الحياة ليؤول أمر المملكة إلى ولده قطب الدين إيلغازي.[35]

وهكذا يبدو أن إمارتي ماردين وحصن كَيْفا دخلتا في طاعة نور الدين من الناحية الرسمية (الخطبة والسكة) على اختلاف مواقفهما منه وقد تأكد ذلك في صورته النهائية سنة 568هـ/1172م، عندما أرسل نور الدين محمود إلى الخليفة العباسي في بغداد رسالة يطلب منه فيها تقليداً بما في يده من البلاد وما في طاعته كديار بكر، فأجابه الخليفة إلى طلبه. كذلك ظل الأراتقة يخطبون لسلاطين السلاجقة، ويضربون السكة باسمهم، طول مدة حكم زنكي ونور الدين و لم تعد العلاقات بين الأراتقة والزنكيين بعد وفاة نور الدين على جانب من الأهمية لانشغال الزنكيين في الموصل بالتزاع مع الأيوبيين.

ثانيا: ماردين وعلاقتها مع الزنكيين

قام عماد الدين زنكي صاحب الموصل بانتزاع نصيبين وسرجي من أملاك حسام الدين تيمورتاش. فبحدود سنة 520هـ/1126م، قُتِل صاحب الموصل والجزيرة آق سنقر البرسقي. وبمقتله تهيأت الظروف لترتيب الأتابك عماد الدين على إمرة الجزيرة. وبعد أن حظي بموافقة السلطان، توجه ليتسلم البلاد من عمال السلطنة ونوابها. قيل أنه بدأ بالموصل –قصبة الإمارة– فتسلمها من ابن البرسقي بعد أن عوضه بلاد الرحبة وأعمالها. ثم قصد جزيرة ابن عمر، فوصلها وأخذها. ثم نزل عماد الدين نصيبين حتى استصرخ حسام الدين تيمورتاش ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا يستنجده. فوعده هذا الأخير بالنصرة. وراسل حسام الدين أهل نصيبين وأعلمهم بأنه وابن عمه جادون

في طرد عماد الدين عن البلد وسيّر رقاعاً على أجنحة الطيور إلى نصيبين يعلم من بها من الأجناد أنه وابن عمه سائران إليهم بالعساكر ويأمرهم بحفظ البلد ثلاثة أيام ووقعت الرقاع في يد عماد الدين زنكي عندما سقط الطير على خيمة تجاوره. فلما عرف فحواها غير نصها بحيث تصبح المدة التي أمرهم فيها بحفظ البلد أكثر من عشرين يوماً، ثم أرسلها إلى جهتها. فلما تبلغ الأجناد خافوا على أنفسهم لأنهم يعجزون عن حفظ البلد هذه المدة. فأرسلوا إلى عماد الدين وصانعوه وسلموه القلعة وبعد أن تسلم نصيبين سار عنها إلى سنجار.[36]

وتابع عماد الدين تحركه في إقليم الجزيرة ليضيف إلى ملكه أملاكاً أخرى، خاصة بعد أن تأكد من عجز الملوك والأمراء المحليين عن مواجهته. فتقدم باتجاه مدينة سرجي وهي بين ماردين ونصيبين من أعمال مملكة ماردين، ليضيف إلى هموم حسام الدين تيمورتاش هموماً جديدة، وليسلخ من أملاكه وأعماله ما استطاع الى ذلك سبيلاً، فوصلها وضرب الحصار عليها. ولما تبلغ حسام الدين بالأمر راسل ملوك النواحي واستفزهم ضد عماد الدين زنكي. فاجتمع لديه صاحب آمد، وصاحب حصن كيفا ركن الدولة داود، وبعض الأمراء بعساكر من التركمان. وقد قيل أنه بلغ تعدادهم أكثر من عشرين ألفاً. وساروا نحو مدينة سرجي والتقوا بعماد الدين زنكي بالقرب من دارا وهي لهم ودارت معركة انتهت بهزيمة الأراتقة وحلفائهم وبتملك عماد الدين المدينة وتم ذلك بحدود سنة 524هـ/1130م.[37] وفي الوقت الذي أدرك فيه زعماء الأراتقة وسواهم من ملوك النواحي الآخرين، صعوبة التجربة في مقاتلة عماد الدين زنكي، تم الأمر بينهم بالمصالحة والإتفاق كما أفاد بذلك ابن شداد؛ "واتفق حسام الدين مع عماد الدين وصارا يداً واحدة وملك عماد الدين الصور وأعطاها لحسام الدين".[38]

ومن ثم أصبح أعداء الأمس، أصدقاء اليوم والعكس صحيح أيضا، حيث انقلب حسام الدين على ابن عمه ركن الدولة داود صاحب حصن كيفا، وعلى صاحب آمد، وقصد مع عماد الدين مدينة آمد فحاصراها، وكان صاحبها قد استنجد بداود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا، فاستجاب، والتقى بهما على باب آمد. فانهزم داود، وأقام عماد الدين زنكي وتيمورتاش على آمد محاصرين. وقطعا الشجر، وشعثا البلد، وعادا عنها من غير بلوغ غرض وكان ذلك في سنة 528هـ.[39] وأدى التقارب بين الرجلين إلى التعاون فيما بينهما على ضرب الفرنج وقصدهم، وانتزاع ما أخذوه في الماضي من ممتلكات المسلمين وأرزاقهم. ونجحا في مسعاهما نجاحا يكاد يكون تاماً وأخذ عماد الدين أيضاً من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج، جملين، والموزر، وتل موزن وغيرها من حصون جوسلين، ورتب أمور الجميع، وذلك في غضون سنة 538هـ.[40] ثم اتجها بحلول سنة 539هـ نحو مناطق الرُّها وتمكنا من أخذها ومن الإستيلاء على مساحات واسعة إلى الشمال والشرق منها. وبعد أن فرغ عماد الدين من أخذ الرُّها

في سنة 539هـ اتجه إلى قلعة البيرة.[41] واستطاع تيمورتاش أن يضيف إلى أملاكه ما يقع من أراضي الرُّها في الشرق والشمال وكانت البيرة يومذاك لجوسلين فتقدم إليها عماد الدين بمفرده أولاً، وحاصرها حتى أشرف على استلامها. ولكن ورود خبر مقتل نائبه بالموصل نصير الدين جقر أحدث ارتباكاً عنده فخاف على الموصل، ففك الحصار ورحل. ولما علم تيمورتاش أسرع بتسيير عساكره إليها وعاود الحصار من جديد.[42] ولما أدرك الفرنج صعوبة الموقف اضطروا إلى تسليمها إليه بالأمان، وقيل فسلمها الفرنج إليهم أي إلى عسكر تيمورتاش خوفاً من عودة عماد الدين إليهم فيأخذها. والصداقة التي تولد لظروف طارئة سرعان ما تموت في ظروف مماثلة، فبموت عماد الدين بن زنكي في سنة 541هـ/1146م أثناء حصاره لقلعة جعبر ماتت الصداقة بين البيتين الكبيرين الحاكمين لإقليم الجزيرة، الزنكي والأرتقي.[43]

وما أن سمع حسام الدين تيمورتاش بمقتل عماد الدين حتى هب مع صاحب حصن كيفا، لاسترجاع ما أخذه من بلادها، سارا لهذا الغرض وتم لهما ما سعيا إليه بسهولة ويسر. فلما فرغ ابن عماد الدين الأتابك سيف الدين غازي من تجهيز والده وترتيب أمور الموصل، وتمكن من نفسه، سار إلى أعمال ديار بكر، فملك دارا وكانت لحسام الدين ثم تقدم باتجاه ماردين في منتصف عام 542هـ/1147م وضرب عليها الحصار. ويقال أن تيمورتاش وصحبه قاوموه مدة واستبسل المارديئيون استبسالاً مميتاً ولكن دون جدوى. إذ ما لبثت أن دخلتها عساكر الموصل ونهبوا البلد فقال حسام الدين تيمورتاش: كنا نشكوا من الشهيد عماد الدين ومن أيامه، فلقد كانت أعياداً، قد حصرنا غير مرة فلم يتعد هو وعسكره ولا أخذوا كفاً من التبن بغير ثمنه.[44] ولما لم يجد حسام الدين من نفسه وأهله وتجمعاته القوة والقدرة للوقوف في وجه سيف الدين، راسله بالمصالحة، ومع الأيام عادت العلاقات بين الرجلين إلى التقارب والتفاهم، كما حدث مع والده إيلغازي وعماد الدين من قبل. وأدى هذا التحسن في العلاقات إلى قيام مصاهرة بين البيتين الكبيرين، تم على أثرها زواج الخاتون صفية ابنة حسام الدين من الأتابك سيف الدين وزفت إليه وهو مريض فلم يدخل بها، وبقيت عنده إلى أن توفي، وملك أخوه قطب الدين مودود فتزوجها وبهذا الزواج تحسنت العلاقات المارديئية الموصلية الأرتقية فكان الملوك أولاد قطب الدين من هذه الزوجة.[45]

وكذلك نرى دور حسام الدين تيمورتاش في مقاومة الصليبيين من خلال تعاونه مع نورالدين زنكي وكان هناك تقارب بينهما فلقد اشترك حسام الدين مع نورالدين في شن هجوم على بعض الحاميات البيزنطية والصليبية الموجودة في المنطقة مما ترتب عليه سقوط عين تاب ودلوك في يد السلطان مسعود بينما استولى تيمورتاش على سميساط والبيرة ووقعت روندان في أيدي نورالدين محمود.[46]

وكذلك نرى العلاقة مع نور الدين زنكي في زمن قطب الدين إيلغازي والذي حكم ماردين. وقد وليِّها مدةً طويلة بعد أَبيهِ نجم الدين ألبي. وكان موصوفاً بالشجاعة والعدل. ولم يطرأ على ماردين أي تطور خلال عهده بل سارت على ما يرام، وكان في طاعة نور الدين زنكي. فلما توفي نور الدين استبد بالبلاد وحمى ذلك البلد من أكف المتغلبين وكانت ماردين في أيامه حرماً آمناً، يرد إليه الأفاضل والعلماء والصدور والأمراء وله هِمَّةٌ عالية.[47]

ثالثا: ماردين في العصر الأيوبي

مع بزوغ نجم صلاح الدين الأيوبي بعد وفاة نور الدين زنكي، حاول صلاح الدين السيطرة على ماردين وبلاد الجزيرة في محاولته لاتمام ما بدء به نور الدين زنكي من توحيد هذه البلاد مع مصر وبلاد الشام، ليتسنى له مواجهة الصليبيين. وقد وقف أمراء الأراتقة مع أمراء المناطق المجاورة ضد صلاح الدين ابتداء. ومع إحراز صلاح الدين انتصارات وفتوحات في المنطقة انحاز أغلب أمراء الأراتقة إليه وتخلوا عن عدائهم له. فقد توجه إليه وفد مشترك من الموصل ومارِدِين وحصن كَيْفا سنة 572هـ/1176م لتقديم فروض الطاعة واعلان تحالفهم معه. ولكن لم يستمر هذا الأمر طويلاً بسبب الشقاق بين الأمراء الأراتقة وتضارب مصالحهم، فقد انضم صاحب ماردين لحلف ضد صلاح الدين. حيث تم تكوين حلفا دفاعيا ضد صلاح الدين شارك فيه قطب الدين إلغازي الثاني بن ألبي صاحب ماردين، وشاه أرمن صاحب خلاط، ودولة شاه صاحب بدليس وأرزن، وعز الدين مسعود صاحب الموصل. وخرجوا للتصدي لصلاح الدين وعسكروا في حرزم[48] عند ماردين سنة 578هـ/1183م، ولما علم صلاح الدين بالأمر جمع جيشة لمواجهتهم عند رأس العين (بين حران وماردين)، فخشوا مجابهته، وتراجعوا إلى بلادهم.

وبعد أن عاد صلاح الدين الأيوبي من حصاره للموصل نزل بحَرزَم تحت ماردين[49] وأقام هناك بعض الوقت بقصد جس نبض الماردينيين، ولما لم ير مغنماً، وهذا على الأغلب لصعوبة فتحها فهي على جبل شامخ يصعب الوصول اليها، فسار عنهم إلى آمد. والرحيل عن ماردين لم يعن آنذاك عدم العودة إليها. وتوفي قطب الدين إيلغازى سنة 580هـ، وعاد صلاح الدين إلى ماردين والجزيرة الفراتية عام 581هـ، وأرسل له الملك قلج أرسلان يخبره بأن ملوك الشرق بأسرهم اجتمعت كلمتهم على قتاله إن لم يعد عن ماردين والموصل، فلم يأبه لهم ووصل إلى دنيسر بجانب ماردين وأكمل طريقه للموصل ولم يفتحها فعاد إلى اتجاه ماردين فحاصر ميافارقين من أعمالها واستلمها صلحا.[50] وبعد أن عاد إلى دنيسر وصله عسكر نورالدين صاحب ماردين وعماد الدين بن قره أرسلان فالتقاهم واحترمهم ومن ثم رحل إلى الموصل مرة أخرى.[51] وبذلك بعد أن تمكن من إحكام الطوق على كثير من بلاد الجزيرة وديار بكر وفتحها، انطوت ماردين تحت حكمه، فاستسلمت له وصارت طوع إرادته،[52] واعترفت له بالطاعة

والسيادة. فأقرهم صلاح الدين على ما بأيديهم، وشرط عليهم أن يستشيروه في أمورهم، وجعل عليهم من يراقب التزاماتهم تجاهه، وتمت الخُطبة له في المدن الأرتقية وكذلك ضربت النقود باسمه. وقد اصطبغت بعض مظاهر الحياة المارديني السياسية والاجتماعية بصبغة أيوبية. وظهرت مسكوكات ترمز بالسيادة والاحترام لصاحب الأمر والسلطنة صلاح الدين.[53] ومن ثم لأبنائه من بعده في سنوات لاحقة. وتوثقت العلاقات المارديني الأيوبية الصلاحية وشارك الماردينيون أسوة بغيرهم من أهل الجزيرة في حروب العسكر الصلاحي ومواقعه مع الفرنج. وكان صلاح الدين يطلب من حكام هذه المناطق أن يرسلوا عساكرهم إليه حين تقتضي الحاجة. وقد شاركت جيوش ماردين مع صلاح الدين في معركة حطين وفتح بيت المقدس، حيث تُذكر جملة مع الجيوش الشرقية التي قدمت للمشاركة في الفتوح، لكن المصادر لا تفصل بأسماء من شارك في هذه الفتوح من ماردين وغيرها من مدن الجزيرة الفراتية. وليس أدل على ذلك من اشتراكهم في معركة حطين سنة 583هـ/1187م،[54] فيذكر ذلك ابن شداد قائلا:

> فسار ومن اجتمع به من العساكر الشرقية في خدمته وهم عسكر الموصل مقدمتهم مسعود بن الزعفراني وعسكر ماردين فلقيهم السلطان في العشر الأوسط من ربيع الآخر فأقرهم وأكرمهم في منتصف هذا الشهر.[55]

وكان هذا مقدمة لمعركة حطين وبما أنهم شهدوا معركة حطين سار الجيش باتجاه بيت المقدس وبذلك شاركوا في فتحه. وتشير المصادر إلى مشاركة الجيوش الشرقية في الحروب المتتالية ضد الصليبيين في الحملة الصليبية الثالثة. ولكن بعد وفاة صلاح الدين كانت هناك محاولة فاشلة لصاحب ماردِين للخروج عن طاعة الأيوبيين مع بعض الأمراء في الجزيرة الفراتية، عقد بعدها صلحا مع الملك العادل على نفس الشروط التي اشترطها أخوه صلاح الدين.

رابعا: بعض الآثار المارديني في بيت المقدس

كما وقد دلت بعض الآثار في مدينة بيت المقدس على الوجود المارديني فيها، كنقش من أرتق بن أكسب في محراب زكريا،[56] وأيضا يذكر وجود قبره فيها في خانقاة شمالي المسجد الأقصى عند باب العتم وذلك قبل الاحتلال الصليبي. وبعد الفتح الصلاحي تم إرسال شمعدان من أرتق أرسلان بن إيلغازي وهو موجود إلى يومنا هذا في متحف المسجد الأقصى،[57] وكذلك تم إنشاء الرباط المادريني في العهد المملوكي سنة 1321م عند الجانب الشمالي من المسجد الأقصى المبارك، بحذاء باب حطة، والذي أسسته سيدتان من مدينة ماردين. وقد ذكر مجير الدين العليمي كتاب وقف الرباط والذي تم تخصيصه لمن يرد من مدينة ماردين سنة 763هـ/1361م. وهناك وثيقة تثبت ان الرباط كان عامرا ببعض نساء اهل ماردين في عام 795/1392.[58] وهذا يدل على الاهتمام المارديني الأرتقي ببيت المقدس قبل وبعد الفتح الصلاحي.

الخاتمة

من خلال ما مر معنا نستنتج الدور الكبير الذي لعبه مدينة ماردين وحكامها الأراتقة في الصراع الصليبي-الإسلامي منذ وصول الصليبيين إلى منطقة الشرق الإسلامي حتى زمن صلاح الدين الأيوبي. فقد كان اخراجهم من بيت المقدس ممهدا لوصول الصليبيين. وقد اتضح من خلال الدراسة ما قامت به ماردين من دور كبير في مواجهة العدوان الصليبي على بلدان المشرق الإسلامي منذ عهد سقمان بن أرتق، والذي يرجع إليه الفضل في تهديد مركز الصليبيين في المنطقة مثل حملاته ضد الصليبيين على سروج وحرّان ثم أكمل مسيرته أخوه نجم الدين إيلغازي حين هزم الصليبيين في معركة ساحة الدم وخضعت مدينة حلب لحكم ماردين فترة من الزمن.

وكذلك اتضح من البحث كيف بدأت مرحلة جديدة في الجهاد ضد الصليبيين في عهد حسام الدين تيمورتاش ابن إيلغازي حين تحولت ماردين مركز الأراتقة من موقف الدفاع عن الممتلكات الإسلامية إلى مرحلة الهجوم والذي تمثل في قيادة حسام الدين تيمورتاش جيشاً لتحرير بيت المقدس والذي رغم وصوله إلى مشارف المدينة المقدسة واطلاله عليها من جبل الزيتون لم يوفق في غايته وسقط عدد من أبناء ماردين شهداء على أسوارها وفي الطريق إليها. ثم قامت ماردين بمساندة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في حملاته ضد الصليبيين ونتج عن ذلك سقوط سميساط والبيرة وخضوعهما لحكم حسام الدين تيمورتاش، حتى أن أبناء ماردين شاركوا نورالدين محمود في حملاته في بلاد الشام ضد الصليبيين. وقد توجت ماردين معقل الأراتقة دورها في مواجهة الغزو الصليبي بانضمام جيشها لجيوش صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين 583هـ/1187م وماترتب على ذلك من هزيمة الصليبيين وطردهم من معظم مدن الساحل واستعادة بيت المقدس. وقد كان سبب هذا الإنضمام وتحالف ماردين مع صلاح الدين وعقد ملوكها للاتفاقيات معه وتحالفهم مع صلاح الدين وأسلافه في فترات سابقة منبعه ارتباط قضية بيت المقدس وتحريره بالعقيدة الإسلامية، وأنها كانت تحت حكمهم قبل الاحتلال الصليبي. وأن هذه الأرض المقدسة وجب تحريرها من الصليبيين كونها أولى القبلتين ومنها عرج النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإليها تشد الرحال فهذا الذي دعاهم لتلبية نداء صلاح الدين في الانضمام له وتحرير بيت المقدس.

الهوامش

[1] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (بيروت: دار صادر، 1900م)، 1: 179. **الفحول**، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط (إسطنبول: مكتبة إرسيكا، 2010)، 1: 258. يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت)، 5: 223. أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، **البداية والنهاية**. تحقيق. عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1(مصر: دار هجر للطباعة والنشر، 1997)، 16: 240.

[2] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **سير أعلام النبلاء**. المحقق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985)، 19: 435-436. مصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط (إسطنبول: مكتبة إرسيكا، 2010)، 1: 258. يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت)، 5: 223. أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، **البداية والنهاية**. تحقيق. عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1(مصر: دار هجر للطباعة والنشر، 1997)، 16: 240.

[3] علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد عز الدين ابن الأثير الجزري الشيباني، **الكامل في التاريخ**. تحقيق. عمر عبدالسلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، 1997)، 8: 642-643.

[4] حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، المحقق. سهيل زكار، ط1 (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1983)، 491.

[5] أسماء إبراهيم محمد أحمد، **بنو أرتق دراسة تاريخية**. رسالة ماجستير غير منشورة (المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، 2011)، 33-34.

[6] أحمد، **بنو أرتق دراسة تاريخية**، 33-34.

[7] عماد الدين خليل، **الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام**، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1980)، 58.

[8] أحمد، **بنو أرتق دراسة تاريخية**، 47-48.

[9] حسن شميساني، **مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة 1515م/921هـ**. ط1 (بيروت: دار عالم الكتب، 1987)، 145.

[10] شميساني، **مدينة ماردين**، 145.

[11] شميساني، **مدينة ماردين**، 145.

[12] ستيفن رانسيمان، **تاريخ الحملات الصليبية**، ترجمة. نور الدين خليل، ط1 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994)، 2: 68.

[13] يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت)، 5: 178-179.

[14] شميساني، **مدينة ماردين**، 146.

[15] ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، 5: 188. رانسيمان، **تاريخ الحملات الصليبية**، 2: 72-73. نبيلة عبدالفتاح كامل أبوزيد، **مدينة ماردين ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي**، رسالة ماجستير غير منشورة (بنها: جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1998)، 51-52.

[16] حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، المحقق. سهيل زكار، ط1 (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1983)، 232.

[17] ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، 8: 509. ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، 237.

[18] شميساني، **مدينة ماردين**، 148-149.

[19] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 19: 435-436. حاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، 1: 258. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، 5: 223. ابن كثير، **البداية والنهاية**. 16: 240.

[20] شميساني، **مدينة ماردين**، 150-151.

[21] ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، 5: 199.

22 ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، 8: 642-643.

23 رانسيمان، **تاريخ الحملات الصليبية**، 2: 183.

24 شميساني، **مدينة ماردين**، 165-166.

25 الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 19: 435-436. حاجي خليفة، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، 1: 258. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، 5: 223. ابن كثير، **البداية والنهاية**، 16: 240.

26 شميساني، **مدينة ماردين**، 167-168.

27 أبوزيد، **مدينة ماردين ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي**، 127-128.

28 ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، 491.

29 أبوزيد، **مدينة ماردين ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي**، 127-128.

30 وليم الصوري، **الحروب الصليبية**، ترجمة حسن حبشي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994)، 3: 346-348.

31 عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، المحقق. عمر عبد السلام تدمري، ط1 (بيروت: المكتبة العصرية، 2001)، 411. أحمد، **بنو أرتق دراسة تاريخية**، 50.

32 شميساني، **تاريخ ماردين**، 178.

33 ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، 9: 23.

34 محمّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق. جمال الدين الشيال (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1957)، 1: 144.

35 شميساني، **تاريخ ماردين**، 183.

36 علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد عز الدين ابن الأثير الجزري الشيباني، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق. عبدالقادر أحمد طليمات (القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963)، 36-37. ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، 9: 8-9.

37 ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، 9: 23.

38 عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر ملوك الشام والجزيرة**، تحقيق. يحيى عبارة (دمشق: وزارة الثقافة، 1978)، 2/3: 555-556.

39 ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 9: 51-52.

40 ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 9: 127.

41 ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، 70.

42 ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، 70.

43 ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 9: 142

44 عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين**، المحقق. إبراهيم الزيبق، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997)، 1: 227.

45 ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، 91. أبو شامة، **الروضتين في أخبار الدولتين**، 1: 227.

45 ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، 91.

46 أبوزيد، **مدينة ماردين ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي**، 127-128.

47 كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي الشيباني، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، المحقق. محمد الكاظم، ط1 (إيران: مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1996)، 3: 363.

48 اسم بليدة في واد ذات نهر جار وبساتين بين ماردين ودنيسر، وأكثر أهلها أرمن نصارى. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر: 1995م) 2: 240

49 ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 2: 132-134.

50 ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 2: / 166، 169- 171.

51 ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر ملوك الشام والجزيرة**، 2/3: 116–117.

52 شميساني, **تاريخ ماردين**, 188.

53 شميساني, **تاريخ ماردين**, 188.

54 رانسيمان، **الحملات الصليبية**، 2: 513.

55 ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر ملوك الشام والجزيرة**، 2/3: 126.

56 خضر سلامة، **نقش سلجوقي من المسجد الأقصى**، حوليات القدس، العدد السادس عشر، خريف – شتاء، 2013، ص51–60.

57 Taragan, Hana (2012). An Artuqid Candlestick from the Al-Aqsa Museum: Object as Document. *Ars Orientalis*, Vol. 42, pp. 79-88.

58 M.H. Burgoyne, (1987) *Mamluk Jerusalem: An Architectural Study*, with additional historical research by D.S. Richards, London, p. 412–414.